دراسة الخطاب الإعلامي في ضوء مقاربات تحليل الخطاب

sehcaorppa sisylana esruocsid fo thgil ni esruocsid aidem fo ydutS A

هشام صويلح أستاذ محاضر-أ-

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات. جامعة 20 أوت 1955. سكيكدة - الجزائر

دراسة الخطاب الإعلامي في ضوء مقاربات تحليل الخطاب

sehcaorppa sisylana esruocsid fo thgil ni esruocsid aidem fo ydust A

هشام صويلح أستاذ محاضر-أ-

قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة 20 أوت 1955. سكيكدة - الجزائر

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى استعراض أهم مفاهيم وآليات مقاربات تحليل الخطابات التواصلية؛ اللفظية منها وغير اللفظية.

كما يحاول التعريف بهذه المقاربات للباحثين المهتمين –خاصة-بالدراسات الإعلامية والتواصلية، قصد الاستفادة منها، من خلال توظيفها في دراسة وتحليل الخطابات الإعلامية، المتعددة الوسائط والأنماط والأهداف.

الكلمات المفتاحية:

خطاب، إعلام، تحليل، لغوي، إيقوني.

Abstract:

This article aims to present the most important approaches to discourses analysis. Approaches with a variety of scientific concepts and mechanisms. Aimed at analyzing various speeches; linguistic and non-linguistic.

The article also aims to introduce researchers who are specialized in media and communication studies with these approaches. In order to use it and benefit from it in studying various media texts.

The key words:

Discourse, media, analysis, linguistic, iconic.

مقدمة

إشكالية البحث وتساؤلاته

لقد هيمنت البحوث الكمية الوضعية والسلوكية على حقل دراسات الإعلام والاتصال إلى الدرجة التي فاق فيها لدى البعض الانشغال بالأرقام وتقديم معايير رياضية إحصائية على حساب أهداف البحث العلمي نفسها، وارتبطت هذه البحوث بحاجات وأهداف المؤسسات التي رعتها، فاتخذت صيغة تطبيقية إمبريقية، تبحث غالبا في تأثير وسائل الإعلام، وبحوث المشاهدين والمستمعين والبحوث المسحية، ثم تعمل على إظهارها في

خطاب معرفي يخدم أغراضها ويروج أفكارها سعيا لتثبيت سلطانها وتأمين مصالحها.

كما شهد البحث في الدراسات الإعلامية، مع بداية الثمانينيات، ميلا نحو نقد الاتجاهات السائدة. وكان ذلك نتيجة الاطلاع على ما جاء به تحليل الخطاب -لاسيما في الدراسات اللسانية- من مفاهيم نظرية وأدوات تحليلية، انتقلت بالدرس الإعلامي من ضيق المقاربات التقليدية المتمثلة في منهجية تحليل المحتوى، إلى سعة المناهج الحداثية المتمثلة في مداخل تحليل الخطاب بأنواعها المختلفة.

فما هي هذه المداخل أو المقاربات؟ وما طبيعتها ومنطلقاتها وأهدافها؟ وماذا أضافت للدراسات الإعلامية والتواصلية؟ وبالمقابل ماذا أضافت الدراسات الإعلامية لمناهج تحليل الخطاب؟

أهمية البحث وأهدافه

يمثل الخطاب الإعلامي نقطة تأليف بين خطابات إخبارية واجتماعية ومعرفية، متنوعة في بنيتها من حيث الأنساق اللسانية والإيقونية، يصلح لدراستها أكثر من منهج تحليلي، وتلك هي ميزته الجوهرية التي بررت لنا فكرة هذا البحث، والتي تتمحور حول وضع الخطاب الإعلامي بين يدي أهم مقاربات تحليل الخطاب.

وأهم أهداف هذا البحث، هو الانفتاح على مقاربات تحليل الخطاب، ودعوة المختصين في دراسة الخطابات الإعلامية إلى استثمار نتائجها وأدواتها الإجرائية ومفاهيمها النظرية. مع العلم أن غاية مناهج تحليل الخطاب على تنوعها واختلاف مفاهيمها وأدوات تحليلها، هي إعطاء النص قراءة مضبوطة يتفق عليها عدد كبير من القراء، وهذا بالإمساك مبدئيا بمقاصد الكاتب الإبلاغية أولا، ثم بالمقاصد الأخرى التي تخرج من يد الكاتب إلى يد القارئ، وذلك من خلال الوقوف على دلالات النص الأكثر عمقا، وإعطاء النص القراءة الأدق.

المنهجية المعتمدة في البحث

يتبع البحث منهجية واضحة في استعراض مقاربات تحليل الخطاب وربطها بدراسة الخطاب الإعلامي؛ حيث ينطلق من محاولة تحديد السياق التاريخي والمكاني والمعرفي الذي ظهرت فيه المقاربة التحليلية. ثم تحديد أهم الأعلام الذين ساهموا في تأسيس هذه المقاربة وتطويرها. وبعدها إبراز أهم المفاهيم النظرية أو الأدوات الإجرائية التي تتميز بها كل مقاربة. وفي الأخير تبيين كيف يمكن توظيف مفاهيم وأدوات هذه المقاربات في دراسة الخطاب الإعلامي.

وقد اكتفينا في هذا البحث بالعرض النظري دون التطبيقي، تجنبا للتكرار وحفظا للمصداقية العلمية في عدم نشر ما تم نشره، إلا ما رأيناه ضروريا من اقتباسات يُخل حذفها بانسجام نص المقال. وقد أحلنا في هذا البحث على البحوث التطبيقية سابقة النشر

وعلى مواضع نشرها.

هذا، ولتجسيد هذه المنهجية سنستعرض المقاربات التالية: المقاربة التلفظية وإمكانية توظيف مفاهيمها وأدواتها في دراسة الخطاب الإعلامي. ومقاربة تحليل المحادثة وتطبيقها على خطاب الحوارات والندوات الصحفية. والمقاربة الفرنسية في تحليل الخطاب، من خلال عرض نموذج الباحثة الفرنسية صوفي موران. والمقاربة السوسيولسانية ودراسة تنوعات الاستعمالات اللغوية في خطاب الوسائط الإعلامية، والمقاربة التواصلية واستثمار نماذجها. وتوظيف المقاربة السيميائية في تحليل الاتصال غير اللفظي.

1- المقاربة التلفظية (L'approche énonciative) وإمكانية توظيف مفاهيمها وأدواتها في دراسة الخطاب الإعلامي:

يعد المصطلح الفرنسي «énonciation» مصطلحا قديما في ميدان الفلسفة. غير أنه أصبح مصطلحا مستعملا استعمالا مطردا في اللسانيات من قبل اللساني (شارل بالي) في كتابه (اللسانيات العامة واللسانيات الفرنسية). ثم أسس اللساني الفرنسي (إميل بنفنيست) على أساسه نظرية لغوية عُرفت باسم «نظرية التلفظ» ضَمَّنها عناصر تحليلية جديدة خلت منها النظرية البنوية في الدراسات اللسانية.

وقد سمحت محاولة الباحثين تجاوز حدود لسانيات الملفوظ أو لسانيات الجملة، التي مثلها «دوسوسير» ومن تبعه من البنويين الذين اكتفوا بدراسة اللسان كنظام من العلامات، باكتشاف مفهوم التلفظ الذي يرجع إليه الفضل في توسيع موضوع اللسانيات الحديثة.

ويمثل التلفظ قطب العلاقة بين اللسان والعالم: فهو يسمح من جهة بتمثيل الوقائع في الملفوظ، ولكنه من جهة أخرى يمثل في حد ذاته واقعة وحدثا فريدا في الزمان والمكان. ويعرِّف «إميل بنفنيست» التلفظ على أنه «تشغيل اللسان بفعل استعمال فردي»، أو إنه فعل الاستخدام الفردي للسان. وقد ميز «بنفنيست» بين التلفظ كفعل فردي لاستخدام اللسان، وبين الملفوظ كنتيجة لذلك الفعل. وأعطى مفهوما جديدا للجملة؛ حيث نظر إليها على أنها وحدة تنتمي إلى الخطاب وليس إلى اللسان...إنها وحدة الخطاب التامة التي تتضمن في الوقت نفسه المعنى والمرجع sens et référence، وذلك بعدما كانت كل الدراسات اللسانية منكبة على دراستها باعتبارها أكبر وحدة قابلة للتحليل تنتمي إلى اللسان وليس لها علاقة بعملية التلفظ.

في حين تتكون عملية التلفظ من جملة العوامل والأفعال التي تتسبب في إنتاج الملفوظ، بما في ذلك التواصل الذي يشكل حالة خاصة من حالات التلفظ.

وعليه فقد أبرز التفكير في التلفظ البعد الانعكاسي للنشاط اللغوي: فلا يحيل الملفوظ

على العالم إلا بأن يعكس عمل التلفظ الذي يحمله، وهكذا فإن أشخاص الملفوظ وزمانه يقع رصدها تبعا لمقام التلفظ، وهكذا امتلك الملفوظ قيمة متضمنة في القول يظهرها من خلال تلفظه.

إن المقاربة التلفظية التي أرسى قواعدها اللساني الفرنسي «إميل بنفنيست» -التي لقيت فيما بعد رواجا كبيرا في أروبا، وتبنى رؤاها ومبادءَها الكثير من الباحثين، وبخاصة الذين اشرأبت عقولهم إلى التفكير فيما بعد البنوية -أُستثمرت في تحليل النصوص والخطابات من خلال التركيز على دراسة العناصر الإشارية الشخصية (من خلال دراسة الضمائر: هو، هي، هم...)، والزمانية (من خلال دراسة صيغ ودلالات الأفعال إضافة إلى الأفعال المرتبطة بـ «أنا» كأعتقد وأستنتج...)، والمكانية والجهات (الآن، هنا، البارحة، اليوم)، وكذلك دراسة الموضوعية والذاتية في الخطاب، أو «ما يطلق عليه بنفنيست وأوركيوني» الذاتية في اللغة».

ومن بين أهم الباحثين الذين ساروا على نهج «إميل بنفنيست»، وأضافوا بصماتهم العلمية وقدموا إسهامات جليلة في تطوير المقاربة التلفظية، نذكر (كربرات أوركيوني KERBRAT ORCCHIONI) و(كلايبار KLEIBER)، و(ديكرو (DUCROT)، و(كيليولي (CULIOLI) وكل ذلك كان عن طريق توظيفهم لنظرية التلفظ في مدونة متنوعة من نصوص متباينة الأجناس؛ منها الأدبية وغير الأدبية.

وبما أن هذه المقاربة قد استثمرت مفاهيمها النظرية وأدواتها الإجرائية على مدونة متنوعة من النصوص والخطابات، وتحقق الباحثون من فعاليتها في التحليل من خلال انتهائهم إلى نتائج عجزت عن تحقيقها لسانيات الملفوظ، فإننا نعتقد أنها ستكون مقاربة ناجعة لو وظفها المهتمون بالدراسات الإعلامية على تحليل الخطاب الإعلامي، ويكونوا بذلك قد خرجوا من نطاق المقاربات التقليدية التي فرضها عليهم المنهج السلوكي التجريبي، إلى المقاربات التي دفعت إلى الاهتمام بالجانب الاستعمالي للغة.

2- مدخل تحليل المحادثة (Analyse conversationnelle) وتطبيقه على الحوارات والندوات الصحفية

ورد في معجم تحليل الخطاب أن عبارة (Analyse Conversationnelle) المستعملة في الفرنسية هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (Conversation Analysis) التي يرمز لها اختصارا (CA). وهي عبارة تشير إلى تيار من تيارات الإثنومنهجية التي تطورت في الولايات المتحدة في نهاية السبعينيات بمبادرة «هارفي ساكس Sacks» ومساعدَيْه «شغلوف Shegloff وجفرسون Jefferson»؛ حيث تضمنت أعمالهم قدرا من الشرح لقواعد وأهداف وإجراءات تحليل المحادثة، التي استخدمت فيما بعد في تحليل محادثات المتفاعلين الاجتماعيين في حياتهم اليومية.

ويرى بعض الباحثين أن هناك لَبْسا في مصطلح تحليل المحادثة «لا يزول إلا إذا ميزنا بين المحادثة (Conversation) لفظا يدل على سائر أصناف التفاعل اللغوي، ما كان منها بسيطا وعفويا كالذي يدور بين أفراد الأسرة، وما كان منها معقدا ومعدا سلفا كالمحاضرة والخطبة»، أي إن تحليل المحادثة يهتم بخطاب الحياة اليومية، من خلال دراسة المحادثات وتعالقاتها بالتبادلات الفردية في المجتمع، سواء أكانت تلك المحادثات رسمية أم غير رسمية. لذا تتطلب المحادثة بوصفها تفاعلا كلاميا، مقابلة بين شخصين أو عدة أشخاص من مجموعة لغوية تتمتع بسجل تواصلي موحد، وبخصوصيات اجتماعية ونفسية تتعلق بالمكانة الاجتماعية بصفة عامة، وبالوضعية التي يدور فيها التفاعل، ويتجسد هذا التفاعل اللغوي بصفة خاصة، في المقابلات التلفزيونية والإذاعية والحوارات والندوات الصحفية مع شخصيات سياسية أو رياضية أو دينية أو فنية...

يهتم تحليل المحادثة بدراسة نظام المحادثة اللساني والاجتماعي، بالاعتماد على تسجيل المحادثات بالصوت أو بالصوت والصورة أو كتابتها كتابة صوتية، وفحصها فحصا دقيقا، ويهتم كذلك بدراسة النظام الداخلي للأدوار الكلامية، كما يساعد على معالجة تفاصيل الحياة اليومية، من خلال تسجيل تفاعلات الناس بشكل طبيعي كما هي في أرض الواقع، وبما أن تحليل المحادثة على الصعيد المنهجي يعتمد المقاربة الاستقرائية، فإنه ينطلق من وقائع ومعطيات عديدة لصياغة قاعدة أو مبدإ ما، ويرفض الأحكام المسبقة التي قد يقوم بها المحلّل: إنه يهتم على العكس من ذلك، بالحديث الذي يتفاعل به المشاركون ويريد هو إظهار طبيعته واستراتيجياته التي يقوم عليها.

يعتمد محللو المحادثة على مقاربات مختلفة التوجهات ومتعددة المناهج، فمنهم من ركز على الجوانب البنوية والتنظيمية مثل «ساكس Sacks» و«شغلوف Shegloff» و«جفرسون Jefferson» و«ألان Allen» و«غيGuy» و«غودوين goodwin»، ومنهم من ركز على الجوانب البراغماتية والتفاعلية والاجتماعية مثل «غرايس Grice» و«فان دايك Van dijk» و«سيرل Searl» و«أتكنسن Atkinson» و«هريتاج Heritage».

وعليه، يمكن أن نستشف أن مقاربة تحليل المحادثة قد ساد فيها اتجاهان

- الاتجاه الأول بنوي، ينظر إلى المحادثة على أنها بنية تراتبية معقدة تشبه اللغة في توزّع وحداتها على مستويات، لذلك يسعى المحلل إلى الكشف عن كيفية انتظام تلك الوحدات، وعما يقوم بينها من علاقات.

- أما الاتجاه الثاني فهو تداولي، ويهمه من المحادثة ما ينعقد بين أطرافها من علاقات اجتماعية تفصح عنها كيفية التعاقب على الأدوار وأنواع التبادل (échanges) وطبيعة الأفعال اللغوية (Acte de langage) التي يحتوي عليها كل تدخُّل.

وبهذا الصدد أيضا، يرى الباحث «ألفا عصمان باري Alpha Ousmane BARRY»، أن ميلاد تحليل المحادثة نتج عن تقاطع ثلاثة اتجاهات بحثية أساسية: هي التفاعلية الرمزية، وإثنوغرافيا التواصل، والإثنومتدلوجيا أو الإثنومنهجية (منهجية دراسة الأجناس):

2-1- التفاعلية الرمزية: L'interactionnisme symbolique

ظهر هذا الاتجاه البحثي في الثمانينيات من القرن العشرين، وهو واحد من أصل مجمل الأعمال الميكروسيسيولوجية التي تعالج آليات التفاعل. وتُعرَّف التفاعلية الرمزية كدراسة للتبادلات الفردية بصفتها سلوكا رمزيا ينتج ضمن عملية تفاعل اجتماعي.

ويُعرِّف «غوفمان Goffman» التفاعل فيقول: «نعني بمصطلح تفاعل (أي التفاعل وجها لوجه) تقريبا التأثير المتبادل الذي يمارسه المشاركون على أفعالهم الخاصة بكل منهم عندما يلتقي بعضهم ببعض التقاءً فيزيائيا مباشرا؛ ونعني بتفاعل واحد مجموع التفاعل الذي يحدث في مناسبة ما عندما يكون أفراد مجموعة معينة بحضرة بعضهم بصفة متواصلة». ويمكن أن ينطبق النوع الأول من التفاعل (وجها لوجه) كما يقصده «غوفمان»، على المناقشات والندوات والحوارات الصحفية أو الإعلامية القائمة على تبادل الأدوار بين المشاركين للحديث في مناسبة خاصة عن قضية اجتماعية محددة. كتفاعل مجموعة من الإعلاميين وغير الإعلاميين حول مناقشة «مشروع استغلال الغاز الصخري في صحراء الجزائر»، الذي أخذ خلال فترة زمنية معينة حيزا كبيرا من فضاءات وسائل الإعلام الجزائرية بمختلف أنواعها، حتى أصبح هذا الحدث الإعلامي بمثابة اللحظة الخطابية التي تستحق الدراسة والتحليل.

كما ينطبق مصطلح «تفاعل Interaction» حسب «جورج يول George Yule»، على عدد كبير جدا من اللقاءات الاجتماعية المختلفة؛ حيث يعتبر تحدث الأستاذ إلى طلبته في قاعة الصف نوعا من التفاعل، وتحدث طبيب مع مريضه في العيادة، وتحدث أفراد مشتركين في دعاوى قضائية في المحكمة، وحضور اجتماع لجنة، وشراء طوابع من دائرة البريد، والكثير من تجارب الناس التي يحدث خلالها تبادل شخصي للحديث، نوعا من أنواع التفاعل. إلى درجة يمكن أن نتصور فيها أن كل حدث تواصلي لغوي أو غير لغوي بين شخصين أو أكثر، هو تفاعل رمزي إذا كان ضمن تفاعل اجتماعي.

وبهذا الشكل، يعتبر التفاعل الكلامي الوحدة التي ترسم العلاقات المتداخلة بين الأشخاص المتكلمين. ومن هذا المنظور فإنه يشترط لقاءً بين شخصين أو أكثر، حيث تُتبادل كل أشكال التفاعلات، ويركز التفاعل غير الكلامي على مجموعة من السلوك، تنشأ إثر النشاط اللساني، وتتمثل في جميع الحركات التي تصدر عن المتكلم؛ مثل حركة اليدين وحركة الرأس وطريقة النظر وطبيعة الضحك وكل ما يتعلق بالجسد من لباس

وملامح أخرى، وكل ما يتعلق كذلك بالعلامات الاجتماعية، العرفية منها وغير العرفية كالديكور والأزياء والصور والرسومات...

2-2- إثنوغرافيا التواصل: L'ethnographie de la communication

لقد انبثق هذا الاتجاه البحثي عن الدرس الإثنوغرافي، وبالدرجة الأساس مع أعمال «هايمس Hymes» و«غمبرز» الرائدة في الستينيات من القرن العشرين، ويوصف هذا الاتجاه بالمقاربة الاجتماعية الثقافية، وذلك لاستناده إلى تراث واسع من مساهمات الأنثروبولوجيين الثقافيين والاجتماعيين في دراسة مختلف جوانب السلوك اللفظي. وقد دعا «هايمس» مبكرا سنة 1962 إلى دراسة ما أسماه بـ «إثنوغرافيا التكلم»، المفهوم الذي تحول لديه منذ سنة 1964 إلى «إثنوغرافيا التواصل»، وهو مدخل متمازج المعارف في إطار الأنثروبولوجيا. حاول الدمج بين أدوات ومفاهيم مختلفة مستعارة من عدة حقول معرفية، واستثمرها مندمجة في دراسة الاستخدام اللغوي ضمن سياقات المقامات التواصلية التي تحدث بها.

وتنصب أبرز اهتمامات هذا الاتجاه الفكري على دراسة العلاقة الموجودة بين اللغة وسياقات استعمالاتها الاجتماعية، وذلك من خلال الاستفادة من مفهوم الملكة اللغوية الذي جاء به «تشومسكي Chomsky»، وتبني مفهوم الملكة التبليغية الذي وضعه «هايمس»، الذي يسمح للمتكلم بإنتاج ملفوظات تتوافق مع السياقات الاجتماعية التي يرد فيها. كما يعطيه القدرة على استعمال اللغة في سياقات وظروف حياتية مختلفة لتأدية أغراض شتى. وتسعى إثنوغرافيا التواصل إلى استثمار كلتا الملكتين: الملكة التي تسمح بإنتاج جمل صحيحة نحويا (الملكة اللغوية)، وتلك التي تسمح بإنتاج جمل مقبولة اجتماعيا (الملكة التبليغية)، مع إيلاء اهتمام متزايد للملكة التبليغية، والسياقات الاجتماعية والمقامات التواصلية عموما التي تتم فيها عملية التواصل.

2-3- إثنومنهجية المحادثات اليومية: L'ethnométhodologie des conversations quotidiennes

انبثق هذا الاتجاه المعرفي عن علم الاجتماع بكاليفورنيا عام 1959 على يد عالم الاجتماع الأمريكي «هارولد غارفينكل Harold Garfinkel»، الذي اقترح على الباحثين آنذاك الاهتمام بتحليل الأساليب التي يستخدمها الناس العاديون في حياتهم اليومية لتفسير أنشطتهم وجعلها مفهومة سواء لأنفسهم أو للآخرين، وفي هذا السياق صك «غارفينكل» مصطلح «الإثنوميثولوجيا Ethnométhodologie»، الذي يعني منهجية دراسة الإدراك العام للجماعة، أو منهجية دراسة تفاعلات الأجناس البشرية في حياتهم اليومية.

ومن بين أعمال الحياة الاجتماعية الممارسة التي يهتم بها علماء الإثنومنهجية، ينبع

اهتمامهم بالنشاط التواصلي المتمثل في السلوك الكلامي الذي يعد موردا مركزيا لدى الفاعلين الاجتماعيين، واعتبار التحادث شكلا قاعديا لبناء العالم الاجتماعي بناءً تفاعليا. وفهم التفاعلات التي تتم بين أعضاء المجتمع في الحياة اليومية على أنها أنشطة حياتية لا تكتمل إلا في سياق اجتماعي.

وتقوم تقنيات التحليل التي يوظفها علماء الإثنومنهجية على جمع المعطيات الطبيعية التي يُتحصل عليها أساسا بالملاحظة والمشاركة للفواعل في مقام معين، ويقع التحليل بدراسة تستقصي النشاطات المستعملة عند التفاعل، وهذه الأدوات مستعارة إلى حد بعيد من إثنوغرافيا التواصل التي كثيرا ما تكون أعمالها قريبة جدا من الإثنية المنهجية، وتطبق هذه المنهجية على ميادين شديدة الاختلاف: على النظام المدرسي والبحث العلمي، والأجهزة الأمنية والقضائية، والمؤسسات الاستشفائية ووسائل الإعلام المختلفة.

ترتيبا على ما تقدم من عرض لأهم التيارات التي شكلت مقاربة تحليل المحادثة، والمتمثلة أساسا في تيار التفاعلية الرمزية وإثنوغرافيا التواصل والإثنومنهجية، نخلص إلى أن تحليل المحادثة هو مسار من نوع خاص للتحليل، يمكن استخدامه للتعرف الواعي على الطرق التي يستخدمها أفراد المجتمع للتفاعل فيما بينهم. يهدف إلى وصف وشرح العناصر التي يستخدمها -عادة- المتحدثون ويعتمدونها في المشاركة العقلية والتفاعل الاجتماعي المنظم. تلك العناصر التي تتوزع بين اللغوية وغير اللغوية، وفي الفضاء العام للتفاعل التواصلي.

3- مقاربة المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب (L'approche de L'école Française d'analyse du discours) وما بعدها:

3-1- من دراسة المتن المتجانس إلى تحليل خطاب الوسائط الإعلامية:

يشير مصطلح «مدرسة فرنسية école française» في سياق الحديث عن مقاربات تحليل الخطاب، إلى منهج تحليلي ساد في فرنسا خلال الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، فكانت سنة 1969 منعرجا منهجيا مهما في تاريخ الدراسات اللغوية والنقدية، حيث صدرت خلالها ثلاثة بحوث شكلت العدد الثالث عشر من مجلة لغات (Langages) تحت عنوان «تحليل الخطاب»، وكتاب «التحليل الآلي للخطاب L'analyse automatique du discours» لميشال بيشو«Michel Pécheux»، وهو الكتاب الذي يعد -عند الباحثين- الأكثر تأثيرا في هذه المدرسة، وكتاب «حفريات المعرفة L'archéologie du savoir» لميشال فوكو «Michel Foucault» الذي يرجع إليه الفضل في فتح سبل جديدة في تحليل الخطاب، تهتم بالبحث في العلاقات بين الممارسات الخطابية والممارسات الاجتماعية.

وكانت دراسة مدونة الخطاب السياسي، هي موضوع الأبحاث التي «قام بها لسانيون

ومؤرخون بمنهجية تجمع بين اللسانيات البنوية و«نظرية في الإيديولوجيا»، مستلهمة في الآن ذاته من إعادة الفيلسوف ل. ألتوسر قراءة آثار ك-ماركس، ومن التحليل النفسي عند ج-لاكان. وكان الأمر يتعلق بالتفكير في علاقة الإيديولوجي باللساني، مع تجنب اختزال الخطاب في تحليل اللغة وإذابة الخطابي في الايديولوجي، في الوقت نفسه».

وبذلك تكون المدونة السياسية قد نالت النصيب الأوفر من اهتمام من يُمثلون المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب أثناء بداياتها الأولى، ولاسيما عقب أحداث ماي 1968 (تمثلت هذه الأحداث في مظاهرات تزعمتها حركات طلابية، ثم سرعان ما انتقلت إلى الشارع الفرنسي لتلتحم بها الجماهير العريضة من العمال والمثقفين) التي وجهت أنظار العامة والخاصة إلى الساحة السياسية.

وعليه، نخلص إلى أن المدرسة الفرنسية غلب عليها بتأثير من «ألستور» و«فوكو» و«بيشو» و«لاكان»...أسلوب فلسفي في تحليل الخطاب، مع التأكيد على الخلاصات الإيديولوجية والتاريخية والتحليل النفسي والماركسي، التي كان لها الأثر البالغ في التحليلات الإيديولوجية للخطاب السياسي.

3-2- ما بعد المدرسة الفرنسية: من الخطاب السياسي إلى خطاب وسائل الإعلام.

إذا لم يعد في مقدور الباحثين اليوم الحديث عن مدرسة فرنسية في تحليل الخطاب بسبب تهميشها تدريجيا بداية من الثمانينات، لاعتبارات معرفية وأخرى إيديولوجية، فإن ذلك لا يمنع من وجود وتشكل نزعات فرنسية في تحليل الخطاب ولاسيما الإعلامي منه. وكان نموذج صوفي موران من أفضل ما مثل تلك النزعات الجديدة.

3-2-1- الباحثة «صوفي موران» نموذجا للنزعة الجديدة في تحليل الخطاب الصحفي بفرنسا:

يمكن تجسيد واحدة من هذه النزعات التي ظهرت في فرنسا بعد مقاربة «المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب»، في الأعمال التي أنجزتها الباحثة الفرنسية صوفي موران حول تحليل الخطاب عموما وتحليل خطاب الصحافة اليومية تحديدا؛ حيث ترى الباحثة في سياق عرض وجهة نظرها عن المقاربة السابقة، وأثر الخطاب الإعلامي في تجديد منهجها، أن وسائل الإعلام، وبخاصة الصحافة التي تتميز بعدم التجانس وبعدم استقرار ظروف إنتاج الخطابات التي تنشرها أو تبنيها أو تبثها، أتاحت للباحثين إعادة الاشتغال على بعض المفاهيم الإجرائية للتحليل الفرنسي للخطاب كما نظَّر لها «ميشيل بيشو» في السبعينيات من القرن الماضي، من خلال تمفصلها مع مفاهيم أخرى، مثل الحوارية أو الذاكرة الجماعية أو اللحظة الخطابية...

وعليه ترى الباحثة أنه بالإمكان أن يعاد الاشتغال على المفاهيم التي أنشأها التحليل الفرنسي للخطاب، ويعاد التفكير فيها على ضوء متون مختلفة عن تلك التي كان يعتمدها

في التحليل، وعلى ضوء التطور الحديث للنظريات الخطابية والدلالية التي تم تطويرها -منذ ذلك الوقت-بشكل لافت في علوم اللسان.

وفي السياق نفسه، تؤكد «موارن» على أن الفرق بين الإجراءات الجديدة التي تنتهجها هي شخصيا في أبحاثها، وبين إجراءات التحليل الفرنسي للخطاب، تكمن من الناحية التأهيلية في جنس الوحدات الخطابية الخاضعة للتحليل؛ حيث يعد الانطلاق من لحظات خطابية -بالنسبة إليها- اختيارا منهجيا أساسيا، وتُبرر ذلك الاختيار في قولها: «ذلك أن اللاتجانس المتعدد الأشكال للوحدات الخطابية التي جمعناها، لا يمكن إلا أن يتميز عن التجانس المطلوب في المتون التي كانت ترتكز عليها التحاليل الأولى للمدافعين عن التحليل الفرنسي للخطاب في السبعينيات (النصوص التي أنتجها حزب سياسي أو نقابة أو رجل سياسي أو تيار إيديولوجي) كما يذكر ذلك «بيشو» نفسه».

لقد دافعت الباحثة المتخصصة في تحليل خطابات الصحافة اليومية، عن خطاب وسائل الإعلام لكونه ليس فقط خطابا عابرا وظرفيا، وإنما هو فضاء تبنى فيه الذاكرة الجماعية للمجتمعات الحالية، وهذه هي الأطروحة الرئيسية التي قامت عليها الباحثة في تحليل الخطاب الصحفي، انطلاقا من أن وسائل الإعلام والصحافة التي تشكل مواقع للقاء الكلمات، والصياغات، والأقوال التي تروج حول هذه الأحداث، تساهم في بناء روابط بين وقائع المجتمع، كما تساهم في نسج خيوط تخاطبية بين أقوال مختلف الجماعات المعنية بهذه الأحداث.

كما تسعى موارن منذ عدة سنوات إلى تحقيق هدف علمي تحدده في قولها: «..الهدف الذي نسعى إليه منذ عدة سنوات: دراسة رواج الألفاظ والصياغة والأقوال، وبخاصة الطريقة التي يتكلم بها «ذلك»، وكيف يروج وينتقل من مقال إلى آخر، ومن إرسال إلى آخر، ومن وسيلة إعلامية إلى أخرى. غير إننا عندما نتساءل عن الطريقة التي تروج بها نتساءل أيضا -بصرف النظر عن منشئ الكلمات والألفاظ والصيغ والأقوال، التي نستهدفها-عن الذاكرة».

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، تقوم الباحثة بخطوة أولية ذات طبيعة منهجية، تبتدئ منذ الوهلة الأولى التي يلج فيها حدث ما وسائل الإعلام، تتمثل في «جمع أنواع كثيرة من الأجناس الخطابية المختلفة، وعدم الاقتصار على جنس واحد، أو على جنس خطابي فرعي واحد، أو على وسيط واحد».

ومما تقدم، نخلص إلى أن التحليل الفرنسي للخطاب أو المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب، وجدت نفسها عاجزة من حيث مفاهيمها النظرية وإجراءاتها التحليلية، على دراسة متون خطابية ذات طابع لامتجانس (كالخطاب الإعلامي مثلا). ذلك أنها تخصصت أول الأمر، في دراسة متن واحد متجانس، وحللته من وجهة نظر إيديولوجية

أو لسانية بنوية منغلقة على نفسها أو تاريخية. وهذا ما أدى بالباحثين إلى التخلي عنها تدريجيا، وبروز -موازاة مع ذلك- نزعات بحثية أخرى مختلفة عنها من حيث المنهج والمفاهيم والإجراءات.

4- المقاربة السوسيولسانية للخطاب (L'approche Sociolinguistique): تباين لغة ومجتمع الوسائط الإعلامية.

علم الاجتماع اللغوي أو اللسانيات الاجتماعية، حقل معرفي يدرس تنوعات الاستعمالات اللغوية لدى مجموعة لغوية ما، يطبق موضوع دراسته على ظواهر جد متنوعة؛ منها وظائف اللغة واستعمالاتها في المجتمع، والتحكم في اللغة، وتحليل الخطاب، والأحكام والتصورات التي يحملها المتكلمون عن لغتهم أو لغاتهم (إن كانوا يتكلمون في المجتمع الواحد بأكثر من لغة)، وكذلك التخطيط والسياسة اللغوية وظواهر أخرى كثيرة.

وقد اشتمل هذا العلم منذ أكثر من عشرين سنة على دراسة اللغة ضمن سياقها الاجتماعي الثقافي، مؤكدا على أن موضوع دراسته لا يجب أن يكون -ببساطة- اللغة كنظام من العلامات (comme système de signes)، أو ملكة باعتبارها نظاما من القواعد (comme système de règles)، بل يجب دراستها كظاهرة اجتماعية.

وقد أدى هذا التوجه الجديد ببعض الباحثين أمثال «جمبرز Gumperz» و«لابوف Labov» و«قوفمان Goffman» و«بورديو Bourdieu» وآخرين، إلى محاولة توسيع مجال البحث في اللسانيات الاجتماعية، انطلاقا من رفضهم القاطع الدراسات النظرية التجريدية للغة، التي تفترض وجود مجتمع كلامي متجانس يشترك بالنحو نفسه، وتوجههم-في مقابل ذلك-إلى دراسة الاختلافات اللغوية في سياقاتها الاجتماعية، وضمن مقاربة أكثر إمبريقية تهتم بدراسة الاستخدام اللغوي الفعلي لا اللغة المجردة.

ومن ثمة أدى الاهتمام بكيفية اشتغال اللغة لدى المجموعات الكلامية المختلفة إلى إرساء نماذج من البحث أسهمت في نظرية تحليل الخطاب، وتشكيل أبعاده المنهجية، وضبط آليات التحليل فيه.

كما كان من نتاج ارتباط البعد اللغوي بالبعد الاجتماعي بروز رؤية جديدة في البحث والدراسة، تزعمها لسانيون اتخذوا منزعا تداوليا في تحليل خطابات اجتماعية متنوعة، سميت المقاربة السوسيولسانية في تحليل الخطاب، اعتمدها الباحثون كآلية إجرائية في تحليل خطابات لها علاقة مباشرة بواقع الناس، من خلال التركيز على الأداءات اللغوية المستعملة لدى فئة كلامية متباية، من حيث السن والجنس والمستوى التكويني والوضع الاقتصادي والأصل والعرق.

وعلى الرغم من كثرة الفوائد العلمية التي قدمتها هذه المقاربة، من خلال تطبيقاتها

على مدونات كلامية مختلفة في سياقاتها الاجتماعية الثقافية، إلا أنها لم تسلم من انتقادات ذات طبيعة منهجية، تمثلت أساسا في مؤاخذتها للسانيات الاجتماعية نتيجة خضوعها بقوة لتأثيرات النموذج الوضعي في العلوم الاجتماعية؛ حيث نظرت إلى جملة الاختلافات اللسانية الاجتماعية بوصفها مجموعة حقائق قابلة للمراقبة والوصف باستخدام منهجية العلوم التجريبية، التي تبحث عن أجوبة للسؤال ماذا حدث؟ ولا تتجاوزه إلى البحث عن أجوبة تفسيرية للسؤال كيف ولماذا حدث؟.

وإذا كانت هذه المؤاخذة تمثل وجهة نظر مقبولة نقديا، فإن للباحث السوسيولساني «لويس جون كاليفي» رأي مخالف؛ فهو يرى أنه إذا كانت أهمية علم ما، لا تقاس بقدرته التفسيرية فحسب، بل كذلك بفائدته ونجاعته الاجتماعية، أو بعبارة أخرى تقاس بإمكاناته التطبيقية، فلا شك أن تطبيقات علم الاجتماع اللغوي عديدة ومتنوعة، ومن ثمة فهو يمتلك بصفته علما معترفا به السلطة التفسيرية للعلم (Le pouvoir explicatif de la science)؛ أي فضلا عن تجاوزه وصف الظاهرة المدروسة إلى تفسيرها، فإن كثرة تطبيقاته ونجاعتها الاجتماعية تشهد على علمية نظرياته وصحتها، وليس عيبا أن يستعين ببعض آليات المنهج التجريبي على تحقيق أغراض بحثية محددة.

تتوفر المقاربة السوسيولسانية على مفاهيم نظرية وأدوات إجرائية كثيرة ومتنوعة، تؤهلها علميا ومنهجيا لتحليل مختلف الاستعمالات اللغوية، وما يتخللها من تعاقب لغوي (code switching) -مثلا- في استعمال اللغة الفصيحة، واللغة الدارجة، واللغة الأجنبية في النصوص الإعلامية. والبحث عن تفسيرات اجتماعية لهذه الظاهرة اللغوية، ومحاولة ربطها بطبيعة الجمهور المتلقي؛ المتباين سنا وجنسا وعرقا، والمتفاوت تعلما وثقافة. أو محاولة ربطها بالسياسة اللغوية التي تنتهجها المؤسسة (سواء أكانت إعلامية أم سياسية أم لغوية) المسؤولة عن تلك الاستعمالات اللغوية المنشورة على وسيطها الإعلامي؛ تلك الاستعمالات التي تهدف إلى ترسيخ سلوك لغوي معين، أو تهدف إلى محاولة تغيير تصورات المتكلمين عن لغتهم، أو تقصد من خلالها إلى تبسيط لغة الخطاب الإعلامي، وتقريبها إلى عامة الناس، على اعتبار أن الخطاب الإعلامي هو منتوج لغوي في سياق اجتماعي ثقافي. أو الكشف عن طرق التضليل التي تعتمدها اللغة الإعلامية، لتشكيل أو إعادة تشكيل آراء أفراد المجتمع وفق تصوراتها، أو ممارسة السيطرة الفكرية من خلال إلباس الكلمات دلالات إيديولوجية جديدة.

5- المدخل التواصلي (L'approche communicationnelle): التواصل الإعلامي أهم الأنشطة الإنسانية المعاصرة.

تكمن ميزة التواصل في أنه يُمكِّن الناس من إقامة علاقات فيما بينهم، تحملهم على تقدير ما يجمع بينهم وما يفرق، فينشئون بذلك علاقات نفسانية واجتماعية، تتمثل

في التفاهم والتعاون على إنشاء المعرفة ووضع القيم، ويكوّنون وعيا بالذات فرديا وجماعيا في آن واحد، ويتحقق ذلك بفضل وظيفة اللغة التي «تكمن قبل كل شيء في إنشاء علاقات بين الأفراد والمجموعات والحفاظ عليها». وبذلك يعد التواصل أحد أهم الأنشطة الإنسانية التي يمارسها الفرد في حياته الاجتماعية؛ إنه شرط إنساني مرافق لطبيعته الاجتماعية.

لقد اهتم كثير من الباحثين بعملية التواصل تنظيرا وتطبيقا، فوضعوا لها خطاطات تمثيلية ونماذج نظرية حددوا فيها عناصرها التي تقوم عليها، ووظيفة كل عنصر بين بقية المكونات التي يتكامل معها في إنشاء التواصل، ويعد نموذج «رومان جاكبسون» أهم النماذج التي عرفها علماء اللسانيات والاتصال حديثا.

1-5- نموذج التواصل (Le schéma de la communication) حسب «رومان جاكبسون»:

إن نتاج «رومان جاكبسون (Roman Jakobson 1896-1982)» اللساني غزير جدا، ويمتاز بالتنوع والدقة العلمية. وليس هناك توليف نظري جامع لأعماله الكثيرة جدا، لاسيما ولسانياته تقارب عديد فروع المعرفة؛ الفنولوجيا وعلم أمراض الكلام (Pathologie du langage) والأنثروبولوجيا ونظرية الإعلام والأسلوبية والفلكلور، وقائمة أعماله، المنجزة غالبا بتعاون مع غيره، طويلة جدا، وتشكل أحد المسارات المهمة للسانيات القرن العشرين. ولم يكن إبداعه ملهما للمختصين في اللسانيات فحسب، بل كان ملهما للكثير من الباحثين المختصين في فروع معرفية أخرى غير اللسانيات. فهذا صديقه الشهير في الأنثروبولوجيا «كلود ليفي شتراوس» يقول عنه -بعد سماعه لمحاضرات جاكبسون في البنوية واستلهامه بفضل هذه المحاضرات لفكرة الأنثروبولوجيا البنوية-» كنت محظوظا بما فيه الكفاية لكي أستمع إليه» واصفا إياه بأنه «المحاضر والمعلم المتألق».

ويرجع إليه الفضل -كذلك- في انبثاق المقاربة التواصلية أو الوظيفية حول وظيفة التواصل اللساني، التي حدد من خلالها عناصر العملية التواصلية الستة: المرسل (l'émetteur) والمرسل إليه (Le destinataire) والسياق (Le contexte) وقناة الإرسال (Le canal de transmission) والوضع اللغوي (Le code linguistique) والرسالة المنجزة (Le message réalisé).

وقد صور جاكبسون، في سياق تحديده للوظيفة الشعرية في التواصل اللغوي، العوامل المكونة لكل سيرورة لسانية ولكل فعل تواصلي لفظي كما يلي: «إن المرسل يوجه رسالة إلى المرسل إليه، ولكي تكون هذه الرسالة فاعلة، فإنها تقتضي سياقا تحيل عليه، سياقا قابلا لأن يدركه المرسل إليه، وهو إما أن يكون لفظيا أو قابلا لأن يكون

كذلك، وتقتضي الرسالة، بعد ذلك، سننا [شفرة أو وضع=code] مشتركا كليا أو جزئيا بين المرسل والمرسل إليه. وتقتضي الرسالة أخيرا، اتصالا أي قناة فيزيقية وربطها نفسيا بين المرسل والمرسل إليه، اتصالا يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه».

ولأن كل عنصر أو عامل من هذه العوامل يولد -حسب جاكبسون- وظيفة لسانية مختلفة، فقد ربطها أثناء ممارسة فعل التواصل (L'acte de communication) بست وظائف رئيسية: الوظيفة الانفعالية (La fonction émotive)، والوظيفة الإفهامية (La fonction conative)، والوظيفة الإنتباهية(La fonction phatique)، والوظيفة المرجعية (La fonction référentielle)، والوظيفة الواصفة أو الشارحة (La fonction métalinguistique). والوظيفة الشعرية (La fonction poétique).

ومثّل جاكبسون، لمختلف هذه العناصر، التي لا يستغني عنها التواصل اللفظي في النموذج التالي

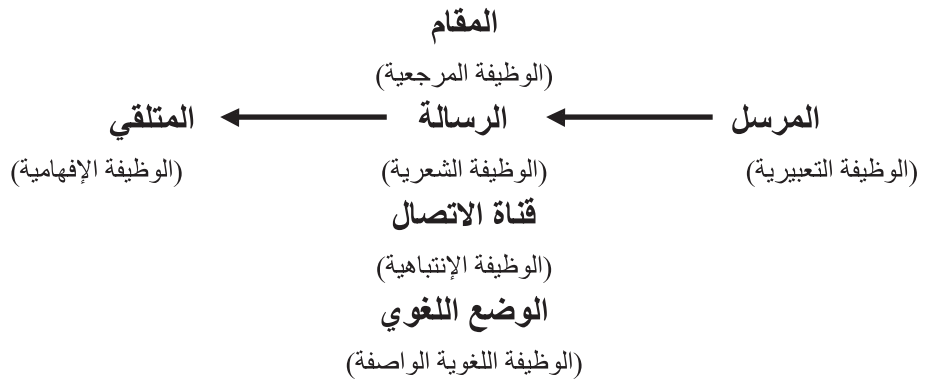

نموذج جاكبسون لعناصر العملية التواصلية ووظائفها.

وإن كان نموذج «جاكبسون» قد وجد شهرة كبيرة في كثير من الدراسات اللسانية والاجتماعية والتربوية، وصار مرجعا لا يستهان به، فإنه لم يسلم من النقد، من ذلك أنه لم يغص في أعماق الظاهرة اللغوية، بسبب بساطته وعدم قدرته على تبيين مدى تعقد العملية التواصلية ومدى تشابك عناصرها فيما بينها.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الفضل الكبير يعود إليه في إخراج اللسانيات من الإطار الضيق لدراسة أنساق اللسان؛ وذلك بإدخال النشاط اللغوي في دراسة اللسان، كما أن الكثير من الباحثين عادوا بعد زمن إلى اعتماد الكثير من وظائفه بتسميات متنوعة، ووظفوها في تحليل نصوص وخطابات متنوعة الأنماط ومختلفة المجالات، حيث استفادوا منها في استخراج الوظائف التي يؤديها كل مكون أثناء ممارسة الخطاب.

6- المدخل السيميائي l'approche sémiotique: نحو تأسيس سيميائيات إعلامية.

تحتل السيميائيات في المشهد الفكري المعاصر مكانة مميزة، فهي نشاط معرفي بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته، ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية... وموضوعه غير محدد في مجال بعينه.

وتهتم السيميائيات بكل مجالات الفعل الإنساني: إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني، بدءا من الانفعالات البسيطة، ومرورا بالطقوس الاجتماعية، وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى، فالضحك والبكاء والفرح واللباس، وطريقة استقبال الضيوف، وإشارات المرور، والطقوس الاجتماعية، والأشياء التي نتداولها فيما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية الراقية والأعمال الفنية، والخطابات التداولية بمختلف أنواعها وموضوعاتها ومجالاتها...كلها علامات تقعيد تحتاج إلى الكشف عن القواعد التي تحكم طريقتها في إنتاج معانيها.

-6-1 نحو تأسيس سيميائيات إعلامية:

إن إحدى أكثر طرق التفكير في الإعلام قوة وتأثيرا في زمننا هذا، هي المقاربة السيميائية، التي تعد في نظر المختصين، طريقة تحليل المعاني بواسطة النظر إلى العلامات (الكلمات والصور والرموز وسواها) التي توصل المعاني؛ ولأن المجتمع مغطى تماما بالرسائل الإعلامية؛ فإن في وسع السيميائيات أن تسهم إلى مدى أبعد من حدود فهمنا للإعلام باعتباره مجموع منتجات إعلامية عامة، حيث تقع قوة المقاربة السيميائية في توفرها على حقل واسع من عمليات صنع المعاني التي تتضمن الموضة والمسرح والرقص والأدب والعمارة، وسيمياء الإعلام بوصفها مقاربة نقدية تسعى إلى تحليل الخطاب الإعلامي المتجلي في إعلام الإعلان والمجلات والصحف والتلفزيون والسينما، كما الإعلام الجديد المتمثل في الاتصال عبر الهاتف المحمول أو التفاعل عبر التلفزيون أو الانترنيت وألعاب الكمبيوتر.

وفي هذا المساق، يؤكد «أحمد العاقد» على أهمية التصور السيميائي ومناسبته أكثر من غيره في تحليل الخطاب الإعلامي بقوله «إننا لا نعثر -في مجال التواصل الوسائطي- على أدق من التصور السيميائي لتحليل الخطاب الصحافي؛ ذلك أن بنية النصوص الإعلامية: المكتوبة والسمعية والسمعية البصرية تستجيب في تعددها النمطي للاجرائيات السيميائية»، على اعتبار أن النظرية السيميائية تمتلك الكفاية التحليلية اللازمة لتفكيك الأدلة النصية والإيقونية في الخطاب الإعلامي؛ أي لها القدرة على تحليل كل العلامات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، كما أنها تضطلع بتفكيك العلامات أثناء تفاعلها بين النسقين اللساني والإيقوني، لأن الوقوف على دراسة النظام اللغوي، وإهمال

النظام الإيقوني في الخطاب الإعلامي يفقده ميزته الرئيسية، وهي ثراؤه الإيقوني بما يحمل من صور وألوان وإشارات وأصوات وموسيقى...وهي علامات تعد من المكونات الأساسية التي يقوم عليها، ولا يمكن له الاستغناء عنها، بخاصة في النصوص الصحفية المكتوبة كالجرائد والمجلات، والسمعية البصرية كالتلفزة والانترنيت.

وإن السيميائيات الإعلامية أو الوسائطية «مجال لتفاعل معطيات حقلين معرفيين شاملين: التواصل والسيميائيات؛ إنها سيميائيات تستجمع أركانها الأساسية بناء على مبدإ التكامل بين معارف عديدة وعلوم سديدة»، وبذلك فهي من حيث هذه الحيثية، لم تخرج عن طوع السيميائيات العامة التي يُنظر إليها على أنها «علم يستمد أصوله ومبادءه من مجموعة كبيرة من الحقول المعرفية كاللسانيات والفلسفة والمنطق والتحليل النفسي والأنتربولوجيا (ومن هذه الحقول استمدت السيميائيات أغلب مفاهيمها وطرق تحليلها)». وعلاوة على ذلك، استطاعت اختراق حقول ومجالات عديدة، تمتد من اللغات الطبيعية إلى استكشاف الأنساق الاجتماعية والثقافية والجمالية المختلفة، وهي تضطر في توسعها المطرد هذا إلى تكييف أدواتها وأساليبها وإجراءاتها المنهجية مع خصوصيات الحقل الذي تشتغل فيه، بل هي لا تتردد في مساءلة مسلماتها ومراجعة يقينياتها، والعمل على نقدها وتعديلها، وذلك في سبيل تحصيل معرفة موضوعية علمية حول ممارسات الإنسان الدالة، وتفاعلاته الرمزية داخل المجتمع بما فيها التواصل الإعلامي عبر وسائطه المتنوعة.

وبذلك، يمكن إدراج سيميائيات الإعلام منهجيا، ضمن تخصص أدق من السيميائيات العامة، وهو سيميائيات التواصل، ذلك التخصص الذي ينطلق من الفرضية الوظيفية للغة، القائلة بأولية التواصل والتأثير في استخدام الأدلة، والتي تُدخل في الاعتبار مفهومي التخاطب والقصد التواصلي في تقديم الأدلة اللغوية، كما أنها لا تتوقف عند تخوم المعنى الدلالي للعلامة اللسانية أو العلامة المرئية خصوصا كما تفعل السيميائيات الدلالية.

-6-2- الصورة الإعلامية بوصفها شكلا تواصليا:

تعد الصورة عنصرا مهما في الخطاب الإعلامي؛ حيث تتحدد أهميته على جودتها ووضوحها وارتباطها بواقع الحدث، كما تعطيه مصداقية وحضورا كبيرين لدى المتلقين. ووجود الصورة إلى جانب النص جعلت الإعلامي يتوخى الإيجاز بأقصى درجاته، تاركا إياها تصف الحدث لجمهور المشاهدين والقراء، وذلك للدور الكبير الذي تؤديه في توضيح الفكرة الأساسية للموضوع، والتأثير المباشر على المتلقي. كما أنها براغماتية تقوم بنقل وتحيين أحداث ومشاهد ليست متاحة لتجعلها في المتناول، شائعة ومعروضة أمام الملأ.

وتعرّف الصورة على أنها أداة تعبيرية اعتمدها الإنسان لتجسيد المعاني والأفكار والأحاسيس، ولقد ارتبطت وظيفتها سواء كانت إخبارية، أو رمزية أو وثائقية، أو ترفيهية، بكل أشكال الاتصال والتواصل، وهي واقع متحقق في حياتنا، فهي-بشكل عام- بنية بصرية دالة، وتشكيل تتنوع في داخله الأساليب والعلاقات والأمكنة والأزمنة، إنها بنية حية تزخر بتشكيل ملتحم التحاما عضويا بمادتها ووظيفتها المؤثرة الفاعلة، ومن ميزاتها أنها غالبا ما يتم انتقاؤها بكثير من العناية من بين عدد كبير من الصور المتاحة، بل إنها قد تُقطَّع أو تعالج تقنيا لإحداث تغيير في التقابل أو اللون أو في ملمح آخر من ملامحها، وهكذا فهي -كما يقول رولان بارت في مقال تحت عنوان «رسالة الصورة» (1977)- موضوع جرى العمل عليه فجرى اختياره وتأليفه وتركيبه ومعالجته وفق قواعد تخصصية جمالية أو إيديولوجية، وإنها تحتوي على الكثير من عوامل الإيحاء، ذلك أن معظم الصور التي تعرض ونشاهدها على وسائل الإعلام المختلفة الثقيلة منها والخفيفة، تُنتقى مسبقا بعناية عالية وفائقة جدا. فما هي إجراءات تحليلها في ضوء السميائيات التواصلية؟

-6-3- السيميائيات التواصلية مدخل منهجي لتحليل الصورة الإعلامية:

إن من أهم ما تهدف إليه السيميائيات التواصلية هو دراسة وسائل الاتصال وإثراؤها وتحقيقها، ومنح إمكانية فهم البيئة والمحيط بصورة دقيقة وجيدة من خلال نشاط الإنسان وسلوكه. وقد خلص بعض الباحثين إلى أن السيميائيات التواصلية هي المنظور الأنسب والأصلح لدراسة الخطابات البصرية عموما والصورة الإعلامية على وجه الدقة والتحديد؛ وذلك لما تمتلكه من قوة التواصل اللاشفوي الذي يكون أحيانا أكثر بلاغة من اللغة المعبر بها عن الغرض المقصود.

وإذا كانت العلامة أساسا هي موضوع السيميائيات؛ فإن وسائل الإعلام والاتصال تنقل-وأحيانا تخلق- فيضا من العلامات والرموز، ومن هنا ظهر الاهتمام بدراسات سيميائية الخطاب الإعلامي، وقد بدأ الاهتمام بدراسة صور الإعلانات أو الصور الإشهارية في الأربعينيات من القرن العشرين، وتطورت مناهج تحليل الصورة الإشهارية استنادا إلى لسانيات «دي سوسير» وإنثربولوجيا «كلود ليفي شتراوس Claude Lévi-Strauss»، ورياضيات «شانون»، وأعمال «بول ريكو» التأويلية، وأبحاث «رولان بارت» السيميائية، والأعمال الخاصة بالتواصل التي بدأت في سنة 1960 في المدرسة العليا بباريس. وقد تفاعلت هذه المناهج مع بعضها تأثيرا وتأثرا، وأنتجت الكثير من البحوث حول خطاب الصورة الإشهارية والصورة الفوتوغرافية والصورة السينيمائية. ومع انتشار الصور التلفيزيونية اتسع مجال عمل تلك النوعية من دراسات تحليل الصورة وعلاقاتها بالنص من جهة، وعلاقتها بالواقع من جهة

أخرى، وقد انصبت أعمال هؤلاء الباحثين على أسس تحليل الخطاب الإعلامي من منظور سيميائي فقط، وقد مهدت هذه الأعمال الطريق لظهور مساهمات لعدد كبير من باحثي الإعلام والاتصال والاجتماع في السبعينيات والثمانينيات، واستمر هذا البحث في التطور والاتساع بتطور الوسائل التكنولوجية المؤثرة في تجديد وتنويع وإثراء مصادر الصناعة الإعلامية، وبالتالي خلق علامات جديدة تكون بؤرة اهتمام السيميائيات االبصرية.

7- نتائج البحث:

بناءً على ما تقدم يمكن الخلوص إلى النتائج التالية:

- يمثل الخطاب الإعلامي نقطة تأليف بين خطابات متنوعة في بنيتها؛ من حيث الأنساق اللسانية والإيقونية. وهذا ما يبرر صلاحيته أو انفتاحه على أكثر من منهج أو مقترب تحليلي. وتلك هي الميزة الجوهرية التي دفعتنا لاستعراض أهم وأحدث مقاربات تحليل الخطاب؛ المتباينة الأسس النظرية والمنهجية، والمتفقة على هدف واحد، وهو تحليل الخطاب والكشف عن مقاصده ودلالاته الصريحة والمضمرة، بمراعاة جميع عناصر العملية التخاطبية.
- يمكن استثمار المقاربة التلفظية في تحليل الخطاب الإعلامي من خلال التركيز على دراسة العناصر الإشارية الشخصية (من خلال دراسة الضمائر: هو، هي، هم...)، والزمانية (من خلال دراسة صيغ ودلالات الأفعال إضافة إلى الأفعال المرتبطة بـ «أنا» كأعتقد وأستنتج...)، والمكانية والجهات (الآن، هنا، البارحة، اليوم).
- نجاعة توظيف المقاربة السوسيولسانية في الدراسة العلمية للتعالقات والتفاعلات الموجودة بين لغة خطاب الوسائط الإعلامية وجمهور المتلقين في سياق اجتماعي ثقافي. مع الأخذ بعين الاعتبار المفاهيم الجديدة السائدة في تحليل الخطاب، والتنبيه على أن اللغة ليست وسيطا بريئا أو محايدا في نقل المعلومات أو الأخبار.
- يمكن استخدام مقاربة تحليل المحادثة للتعرف الواعي على الطرق التي يستخدمها أفراد المجتمع الإعلامي للتفاعل فيما بينهم. وذلك بهدف وصف وشرح العناصر اللغوية وغير اللغوية التي يعتمدونها -عادة-في المشاركة العقلية والتفاعل الاجتماعي المنظم.
- يمثل نموذج الباحثة الفرنسية صوفي موران نزعة جديدة في دراسة الخطابات الإعلامية، ولاسيما الخطابات الصحفية اليومية. وهو نموذج يستحق أن يؤخذ بعين الاعتبار في الدراسات الإعلامية المهتمة خاصة بدراسة اللغة في تحولاتها الدلالية ونسبة تردد بعض مفرداتها وأثرها في تكوين المفاهيم لدى القراء،

ودورها كذلك في حفظ الذاكرة...

- قدمت المقاربة التواصلية الكثير من النماذج التحليلية للدراسات الإعلامية، وقد كان نموذج جاكبسون التواصلي أقربها إلى مناهج تحليل الخطاب، وذلك لربطه كل عنصر تواصلي بتأدية وظيفة لغوية. كما سمحت مرونة هذا النموذج بتطبيقه على خطابات متنوعة، ومنها الخطاب الإعلامي.
- تعد المقاربة السيميائية أقرب المقاربات لتحليل الخطاب الإعلامي بفضل امتلاكها للكفاية التحليلية اللازمة لتفكيك الأدلة النصية والإيقونية؛ أي لها القدرة على تحليل كل العلامات، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، كما أنها تضطلع بتفكيك العلامات أثناء تفاعلها بين النسقين اللساني والإيقوني.

المراجع

- انظر **صفاء جبارة**: الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن.ط1، 2009. ص322.
- انظر **حسين خالفي**: البلاغة وتحليل الخطاب، دار الفارابي-لبنان. منشورات الاختلاف-الجزائر ط1، 2011.ص 25 و26.
- Alpha Ousmane BARRY: Les textes de méthodologie ;Les bases théorique en analyse du discours. http://www.chaire-mcd.ca/ p 5.
- باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص222.
- Emile Benveniste: problèmes de linguistique générale، 1966، Edition Gallimard، France, p 130.
- انظر جان سيرفوني: الملفوظية، ترجمة الدكتور قاسم المقداد من منشورات اتحاد الكتاب العرب-سوريا 1998، ص 7 من مقدمة المترجم.
- انظر باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص222.
- انظر جان سيرفوني: الملفوظية...المرجع السابق ص95.
- **ذهبية حمو الحاج**: التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 2015. ص151.
- للاطلاع على أكثر تفاصيل حول ما قدمه هؤلاء الباحثين للنظرية التلفظية انظر:: Alpha Ousmane BARRY: Les textes de méthodologie...pp7.8.
*- انظر على سبيل المثال دراسة عمر بلخير بعنوان «تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية» صدرت عن منشورات الاختلاف بالجزائر سنة 2003. ص 67 وما بعدها. وظف أهم ما جاء في نظرية التلفظ على الخطاب المسرحي، وتوصل إلى نتائج علمية طيبة.
- باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص40.
- حاتم عبيد: في تحليل الخطاب، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2013، ص15.
- انظر **خليفة الميساوي**: الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب. عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن.ط1، 2012.ص57.
- انظر **محمد شومان**: تحليل الخطاب الإعلامي، أطر نظرية ونماذج تطبيقية، الدار المصرية اللبنانية، مصر، ط1، 2007.ص68.
- **باتريك شارودو، ودومينيك منغنو**: معجم تحليل الخطاب. ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، سلسلة اللسان، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس 2008.ص41.
*- انظر إلى أوجه التشابه والاختلاف بين تحليل المحادثة وتحليل الخطاب من حيث الموضوع والمنهج والهدف، في مقال بعنوان:

تحليل الخطاب وتحليل المحادثة لجاك موشلر، ترجمة عزالدين المجدوب ضمن القاموس الموسوعي للتداولية، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس –سلسلة اللسان، 2010 ص 533-509.

– خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة، دراسة في استراتيجيات الخطاب...ص61.

– حاتم عبيد: في تحليل الخطاب...مرجع سابق ص15.

- Alpha Ousmane BARRY: les textes de méthodologie; les bases théorique en analyse du discours. Www. Chaire-mcd.ca/p12-Ibid.

– باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص309.

*– حلل الباحث في ضوء هذه المقاربة ندوة صحفية تتحدث عن قضية الغاز الصخري في صحراء الجزائر، ونشر دراستها بعنوان «تفاعل اللساني والإيقوني في الخطاب الصحفي، دراسة ندوة صحفية في ضوء مقاربة تحليل المحادثة» مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية. المركز الديموقراطي العربي –برلين– ألمانيا– العدد الثاني عشر. مارس. 2020

– انظر جورج يول: التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون ط1، لبنان، 2010، ص 111.

– انظر خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة...ص57.

– انظر محمد شومان: تحليل الخطاب الإعلامي...ص66.

- Alpha Ousmane BARRY: Les textes de méthodologie...p14

– انظر باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص229.

– انظر محمد شومان: تحليل الخطاب الإعلامي...ص67.

- Alpha Ousmane BARRY : Les textes de méthodologie...p27

وانظر حاتم عبيد: في تحليل الخطاب...ص 8 وما بعدها.

– باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص195.

–انظر حاتم عبيد: في تحليل الخطاب...ص10.

– انظر صفاء جبارة: الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل...ص214.

*– الاعتبارات المعرفية سنبينها في المتن. أما الاعتبارات الإيديولوجية فنعتقد أنها بسبب تأثرها بالفكر الماركسي الذي لم يعد مرحبا به عند فئة من الأكاديميين في الجامعات الفرنسية.

*– من أبرز تلك الأعمال نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1-Les Discours De La Presse Quotidienne. Presse universitaire de France 2007.

2- une histoire de discours...une analyse des discours de la revue Le Français dans le monde 1961-1981. Paris, Hachette. 1988.

3- Genres de la presse écrite et analyse du discours. Dans SMEN, n 13. 2001.

– انظر صوفي موران: ملاحظة وتحليل وفهم خطاب الصحافة اليومية، ترجمة عبد الحميد جحفة. الدار العربية لعلوم ناشرون، ط1، 2009. ص20.

– انظر صوفي موران: المرجع نفسه ص 21.

– انظر المرجع نفسه ص10.

– صوفي موران: ملاحظة وتحليل وفهم خطاب الصحافة اليومية...ص13.

– المرجع نفسه الصفحة 14.

*– يرى ويليام لابوف (William Labov) أن علم الاجتماع اللغوي (Sociolinguistique) هو اللسانيات بمفهوم أنطوان ميي (A. Meillet)، لأنه إن كان اللسان ظاهرة اجتماعية، فإن اللسانيات حينئذ لا يمكنها إلا أن تكون علما اجتماعيا، أي إن اللسانيات الاجتماعية إنما هي اللسانيات. انظر:,William Labov, Sociolinguistique, paris, Minuit, 1976, p37

نقلا عن لويس جان كاليفي: علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد يحياتن، دار القصبة للنشر–الجزائر 2006، ص 10.

- Alpha Ousmane BARRY : Les textes de méthodologie...p22.

– انظر صفاء جبارة: الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل...ص156 .

– انظر خليفة الميساوي: الوصائل في تحليل المحادثة...ص46.

– انظر صفاء جبارة: الخطاب الإعلامي بين النظرية والتحليل... مرجع سابق ص 160.

– لويس جان كاليفي: علم الاجتماع اللغوي... ص 111.

*– قدم الباحث وفق هذه المقاربة بحثا بعنوان «أوجه الاستعمال اللغوي في الصحافة الجزائرية، مقاربة سوسيولغوية». **مجلة تعليميات، جامعة عبد الرحمن ميرة–بجاية– الجزائر–العدد الثاني جوان 2019**.

– انظر باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص109.

– **آن روبول، وجاك موشلار**: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل. ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني. المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت–لبنان. ط1، 2003.ص 109

– انظر **نسيم الخوري**: الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط1، 2005. ص63.

– انظر ماري آن بافو وجورج إلياس رفايّ: النظريات اللسانية الكبرى، من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت–لبنان، ط1، 2012، ص232.

– رومان جاكبسون: ست محاضرات في الصوت والمعنى. ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء–المغرب، 1994. ص 16 من تقديم كلود ليفي شتراوس.

- Alpha Ousmane BARRY : Les textes de méthodologie...p9.

– رومان جاكبسون: قضايا الشعر. ترجمة محمد الولي وحنون مبارك، دار توبقال ط1، الدار البيضاء–المغرب. 1988ص 28.

– جاكبسون: قضايا الشعر...ص 28 وما بعدها.

– المرجع نفسه ص27.

– انظر بشير إبرير: دراسات في تحليل الخطاب غير الأدبي...ص73.

– انظر باتريك شارودو ودومينيك منغنو: معجم تحليل الخطاب...ص58.

– انظر سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ط2، 2005، ص25.

– انظر المرجع نفسه...ص29.

– **جوناثان بيغنل**: ترجمة محمد شيا، مدخل إلى سيمياء الإعلام، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت–لبنان، 2010.ص08.

– **أحمد العاقد**: تحليل الخطاب الصحفي من اللغة إلى السلطة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2002. ص97.

– أحمد العاقد: المرجع نفسه...38.

– سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها...25.

– انظر محمد التهامي العماري: حقول سيميائية...ص 03.

– أحمد العاقد: تحليل الخطاب الصحفي من اللغة إلى السلطة...134.

– انظر وجهات نظر مجموعة مو حول سيميائية التواصل المرئي في كتابهم القيم، بحث في العلامة المرئية من أجل بلاغة الصورة: ترجمة سمر محمد سعد، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت، لبنان ط1، 2012، ص 111 وما بعدها.

– انظر ساعد ساعد: فنيات التحرير الصحفي، دار الخلدونية، الجزائر ط2، 2009، ص65.

– انظر المرجع نفسه الصفحة 67.

– انظر مخلوف حميدة: سلطة الصورة، بحث في إيديولوجيا الصورة وصورة الايدولوجيا، دار سحر للنشر ط1 2004، ص18.19.

– انظر جوناثان بيغنل، ترجمة محمد شيا، مدخل إلى سيمياء الإعلام... ص127

– انظر محمد عيلان: من سيميولوجيا الاتصال (حركة الجسد)، ضمن كتاب السيميائية والنص الأدبي، منشورات جامعة عنابة، الجزائر، 1996. ص250.

– انظر بشير إبرير: التحليل السيميائي للخطاب الإشهاري، دراسة في تفاعل أنظمة العلامات وبلاغة الإقناع، مجلة اللسانيات واللغة العربية، العدد الأول، جامعة عنابة/ الجزائر، 2006.ص29.

– انظر محمد شومان: تحليل الخطاب الإعلامي...ص59و60.